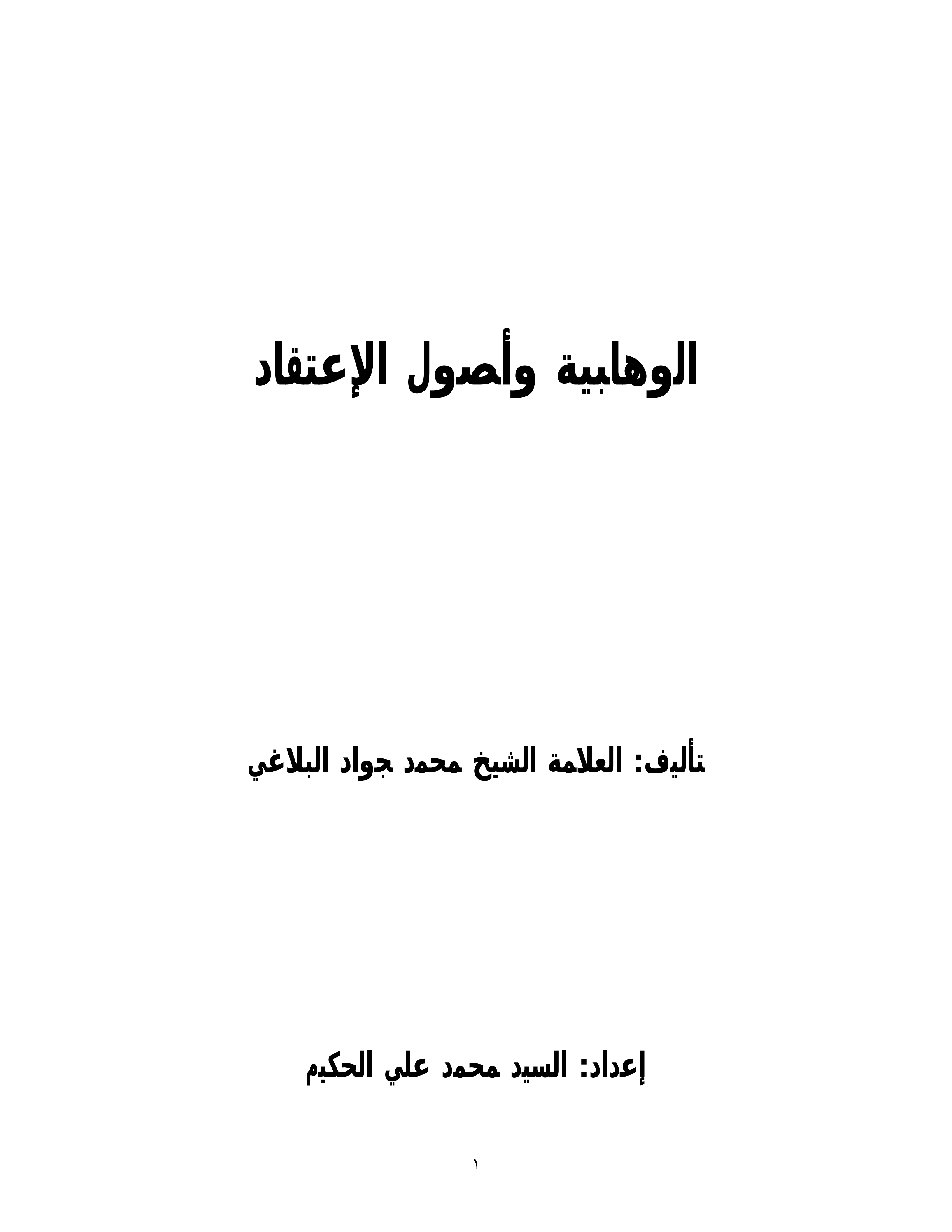


الوهابية وأصول الإعتقاد

تأليف: العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

إعداد: السيد محمد علي الحكيم

مركز الأبحاث العقائدية :

- إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
- العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
ص . ب : ٧٢٩
الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
- الموقع على الانترنت: www.aqaed.com
- البريد الالكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) : ٣ – ٠٧ – ٧٩٩٠ – ٩٦٤ ISBN

الوهابية وأصول الإعتقاد

تأليف

العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي

الطبعة الاولى ـ ٢٥٠٠ نسخة
سنة الطبع : ١٤٢٣هـ
المطبعة : عمران
منشورات دليل ما / ايران قم



مخطط البحث



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز:

إن البحث عن فرقة ما وتقييمها، لابد أن يتصف بالموضوعية الكاملة والحيادة التام.

والوهابية، من الفرق الحديثة التي أنشأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز في القرن الحادي عشر الهجري.

عرفت هذه الفرقة بالوهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، وإن حاول أتباعه أن يحاربوا هذه التسمية، إلاّ أنهم عرفوا بها لا يمكن تفارقهم.

اتبع محمد بن عبد الوهاب في تأسيسه لهذه الفرقة أفكار ابن تيمية الحراني الذي حاول أن ينشر دعوته في أواخر القرن السابع الهجري وبدايات القرن الثامن الهجري، ولكن لم تلاق دعوته النجاح وباءت بالفشل، فجاء محمد بن عبد الوهاب ليطبقها على أرض الواقع بمختلف الأساليب التي منها استعمال أشد طرق العنف والإرهاب.

وما آل إليه مصير الأمة الإسلامية من تشتت وضياع في العام، إلاّ وتبعاته على ذلك الخط المتشدد الذي أعطى للإسلام صورة مشوهة باتخاذه مختلف وسائل القوة لتحميل معتقداته على المسلمين باختلاف فرقهم.

الخط الوهابي المتشدد من بدايات تأسيسه اتخذ أُسلوب تكفير المسلمين بمختلف فرقهم ورماهم بالبدعة والشرك، وكأن لا شيء في الدين يتفوهون به غيره: "بدعة" و"شرك" و"كفر"، والضرب والإهانة والسباب والشتائم.

وفي عصرنا الحاضر، وإن خف عنفوان الوهابية وعجرفتهم، وذلك بعد أن رفضهم المسلمون وتعالت أصواتهم بالنكير عليهم، مما جعل الاحتجاج عليهم يكون بمثابة ضجة عالمية قام بها المسلمون.

إلاّ أن بقاياهم لا زالت موجودة في العالم الإسلامي، والمغترين بهذا الفكر لهم وجود لا يستهان به، مما الجأنا إلى نشر هذا الكتاب الذي هو رد على الفتوى التي أصدرها قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد اللّه بن بليهد سنة ١٣٤٤هـ في بعض المسائل التي لها صلة بزيارة القبور والتبرك والتوسل والشفاعة وغيرها، مما أثار موجة من الأخذ والرد بين علماء المسلمين في وسائل الإعلام كافّة.

وبعد صدور هذه الفتوى ألّف الكثير من العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية كثيراً من الكتب والرسائل بشتّى اللغات حول هذه الفتوى، وكانت إحداها هذا الكتاب.

كما ألّف علماء المذاهب الإسلامية في مختلف أنحاء العالم مئات الكتب في الرد على الوهابية وتبيين أصول عقائدها ونشأتها وتاريخها، نذكر منها:

١ ـ فصل الخطاب في كتاب اللّه وحديث الرسول وكلام العلماء في مذهب

ابن عبد الوهاب، للشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٢١٠هـ (شقيق محمد بن عبد الوهاب).

٢ـ المحنة الوهبية في رد الوهابية، لداود بن سلمان البغدادي النقشبندي.

٣ـ فتنة الوهابية، لأحمد زيني دحلان.

٤ـ الدرر السنية في الرد على الوهابية، لأحمد زيني دحلان.

٥ـ كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، للسيد محسن الأمين.

٦ـ مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبهة البدعي النجدي التي أضل بها الإسلام، لعلوي بن أحمد الحداد.

٧ـ التحذير من المجازفة بالتكفير، للسيد محمد علوي المالكي الحسني.

٨ـ الفرقة الوهابية في خدمة من؟ للسيد أبو العلي التقوي.

٩ـ نقض فتاوى الوهابية، للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

١٠ـ البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية، للسيد محمد حسن القزويني.

١١ـ رسالة فيما يتعلّق بأدلّة جواز التوسل بالنبي وزيارته، للسيد أحمد بن زيني دحلان.

١٢ـ الوهابيون والبيوت المرفوعة، للشيخ محمد علي بن حسن السنقري

الكردستاني.

١٣ـ الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية، للشيخ مالك ابن الشيخ داود.

١٤ـ الوهابية في الميزان، للشيخ جعفر السبحاني.

١٥ـ الإسلام السعودي الممسوخ، للسيد طالب الخرسان.

١٦ـ هكذا رأيت الوهابيين.

١٧ـ مخالفة الوهابية للقرآن والسنة، لعمر عبد السلام.

١٨ـ الوهابية والتوحيد، للشيخ علي الكوراني.

١٩ـ هذه هي الوهابية، للشيخ محمد جواد مغنية.

٢٠ـ منهج الرشاد لمن أراد السداد، للشيخ جعفر الجناجي.

٢١ـ علماء المسلمين وجهلة الوهابيين.

٢٢ـ رسالة في رد مذهب الوهابيين، للسيد محمد العصار.

٢٣ـ الفتوحات الربانية في ثبوت العلوم الدينية في الرد على نزعات الوهابية الإبليسية على أولياء الرحمانية، للحاج كاكو بن أبي بكر بوه بن أحمد.

٢٤ـ الوهابية في صورتها الحقيقية، للأستاذ صائب عبد المجيد.

٢٥ـ براءة الشيعة من مفتريات الوهابية، لمحمد أحمد حامد محمد خير.

٢٦ـ الوهابية دعاوي وردود، للشيخ نجم الدين الطبسي.

٢٧ـ الوهابية في نظر علماء المسلمين، للشيخ إحسان عبد اللطيف البكري.

٢٨ـ السيف الهندي في إبانة طريقة الشيخ النجدي، للشيخ عبد اللّه بن عيسى الصنعاني.

٢٩ـ التوسل بالنبي والصالحين، لأبي حامد بن مرزوق.

٣٠ـ فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب، لأحمد بن علي البصري القبائي.

٣١ـ شواهد الحق في التوسل بسيد الخلق، للشيخ يوسف النهباني.

٣٢ـ الصارم الهندي في عنق النجدي، للشيخ عطاء المكي.

٣٣ـ السيوف الصقال في أعناق من أنكر على الأوليأ بعد الانتقال، لأحد علماء بيت المقدس.

٣٤ـ جلال الحق في كشف أحوال أشرار الخلق، للشيخ إبراهيم حلمي القادري.

٣٥ـ إظهار العقوق ممن منع التوسل بالنبي والولي الصدوق، للشيخ المشرفي المالكي الجزائري.

٣٦ ـ الصواعق والرعود، للشيخ عفيف الدين عبد اللّه بن داود الحنبلي.

٣٧ ـ تجريد سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد، للشيخ عبد اللّه بن عبد اللطيف الشافعي.

٣٨ ـ تهكّم المقلّدين بمن ادعى تجديد الدين، للشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي.

٣٩ ـ رسالة في جواز التوسل، لمفتي فاس الشيخ محمد الوزاني.

٤٠ ـ رد على محمد بن عبد الوهاب، لشيخ الإسلام بتونس اسماعيل التميمي المالكي.

وهذا الكتاب الذي نقدمه في طبعته الثالثة إلى قرائنا الكرام في مصر العزيزة المعروفة بولائها الشديد لعترة نبيها، اعتمدنا فيه على تحقيق السيد محمد علي الحكيم الذي قام بتقويم نصه، وتخريج المنقولات عن المصادر الأصلية وتعضيد التخريجات بمصادر إضافية.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

تمهيـــد

بسم ا   الرحمن الرحيم

الحمد   رب العالمين، والصلاة على محمد سيد الأولين والآخرين، صلّى ا   عليه وسلّم، وعلى آله أجمعين.

وبـعـد،

فقد عثرت في بعض الجرائد(١) على سؤال نصه هذا:

«غادر مكّة في شهر رمضان الماضي الشيخ عبدا   بن بليهد،

---

(١) هي جريدة «أم القرى» العدد ٦٩، بتاريخ ١٧ شوّال ١٣٤٤ هـ.

وهذا مما أفادني به سماحة العلاّمة المحقق السيد عبدالعزيز الطباطبائي (رحمه ا).

قاضي قضاة الوهابيين في الحجاز، قاصداً المدينة المنورة، وقد تلقّت جريدة أم القرى من مكاتبها في المدينة أن الشيخ ابن بليهد اجتمع بعلماء المدينة وباحثهم في أمور كثيرة، ثم وجه إليهم السؤال الآتي:

بسم ا الرحمن الرحيم، ما قول علماء المدينة المنورة ـ زادهم ا فهماً وعلماً ـ في البناء على القبور واتّخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟

وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟

وإذا كان البناء في مسبلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه، لما فيه من ظلم المستحقّين ومنعهم استحاقهم، أم لا؟

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح، من التمسح بها، ودعائها مع ا ، والتقريب بالذبح والنذر لها، وإيقاد السرج عليها، هل هو جائز أم لا؟

وما يفعل عند حجرة النبي صلى ا عليه وسلّم، من التوجه إليها عند الدعاء وغيره، والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد الشريف، من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة، هل هو مشروع أم لا؟

أفتونا مأجورين، وبينوا لنا الأدلّة المستند إليها، لازلتم ملجأً للمستفدين».

وهذا نص الجواب:

«أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً؛ لصحة الأحاديث الواردة في منعه، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه، مستندين على ذلك بحديث عليٍ رضي ا عنه أنّه قال لأبي الهياج: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول ا صلى ا عليه وسلّم، أن لا تدع تمثالاً إلاّ طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته) رواه مسلم(١).

وأما اتّخاذ القبور مساجد والصلاة فيها فممنوع مطلقاً، وإيقاد السرج عليه ممنوع أيضاً؛ لحديث ابن عباس: (لعن رسول ا زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج) رواه أهل السنن(٢).

وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح، من التمسح بها، والتقرب إليها بالذبائح والنذور، ودعاء أهلها مع ا ، فهو حرام، ممنوع

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٦٦ ح ٩٣ ب ٣١، كما ورد الحديث باختلاف يسير في بعض ألفاظه في المصادر التالية: مسند أحمد ١/ ٩٦ و ١٢٩، سنن النسائي ٤/ ٨٨، سنن أبي داود ٣/ ٢١٥ ح ٣٢١٨، سنن الترمذي ٣/ ٣٦٦ ح ١٠٤٩ ب ٥٦.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ح ٣٢٣٦، سنن النسائي ٤/ ٩٥.

شرعاً، لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلّم عند الدعاء، فالأولى منعه، كما هو معروف من فقرات كتب المذهب؛ ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف بها والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة، فهو محدث.

هذا ما وصل إليه علمنا السقيم».

ويلي ذلك توقيع ١٥ عالماً.

وقد علّقت جريدة «أم القرى» على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلةً:

«إن الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين، رضي الناس أم كرهوا»! انتهى.

واطلعت أيضاً على مقالة في بعض الجرائد المصرية(١)، وهذا نصها:

«تغلّب الوهابيون على الحجاز، فأوفدت حكومة إيران وفداً

---

(١) هي جريدة «المقطّم» في عددها الصادر في ٢٢ شوال سنة ١٣٤٤ هـ.

ـ على رأسه حضرات أصحاب السعادة: ميرزا غفّار خان جلال السلطنة، وزيرها المفوض في مصر، وميرزا حبيب ا خان هويدا عين الملك، قنصلها الجنرال(١) بالشام ـ إلى الحجاز، ليتبينوا وجه الحقيقة فيما أذيع على العالم الإسلامي أجمع من فظائع الوهابيين في البلاد المقدسة، وأتم هذا الوفد الرسمي مهمته، ورفع تقريره إلى حكومته.

ولما تجدد نشر الإشاعات بأن الوهابيين هم هم.

وأن التطور الذي غشي العالم أجمع لم يصلح من فساد تطرفهم شيئاً.

وأنهم هدموا القباب والمزارات المباركة المنبثّة في أرجاء ذلك الوادي المقدس.

وأنّهم ضيقوا الحرية المذهبية الإسلامية، نشراً لمذهبهم، وتوسيعاً لنطاق نحلتهم، في الوقت الذي تقوم فيه جميع حكومات العالم على رعاية الحريات المذهبية.

أصدرت(٢) أمرها بوقت التصريح بالسفر للحجاز، حماية لرعاياها، وحفظاً لهم من قصد بلاد لم يعرف تماماً كنه الحكم فيها.

---

(١) أي: القنصل العام.

(٢) جواب «لما» المتقدمة.

وعادت فأوفدت سعادة ميرزا حبيب ا خان هويدا ـ قنصلها الجنرال(١) في الشام ـ ثانية، للتحقّق من مبلغ صدق تلك الإشاعات، فإذا بها صحيحة في جملتها!

لم تمنع الحكومة الإيرانية رعاياها من السفر إلى الحجاز لأن حكومته وهابية فحسب، ولكن الإيرانيين ألفوا في الحج والزيارة شؤوناً يعتقدون أنها من مستلزمات أداء ذلك الركن، ويشاركهم في ذلك جمهور المسلمين من غير الوهابيين، كزيارة مشاهد أهل البيت، والاستمداد من نفحاتهم، وزيارة مسجد منسوب للإمام علي عليه السلام.

وقد قضى الوهابي على تلك الآثار جملةً، وقضى رجاله ـ وكلّ فرد منهم حكومة قائمة ـ على الحرية المذهبية.

فمن قرأ الفاتحة على مشهد من المشاهد، جلد.

ومن دخّن سيجارة أو نرجيلة، أهين وضرب وزج في السجن، في الوقت الذي تحصل فيه إدارة الجمارك الحجازية رسوماً على واردات البلاد من الدخان والتمباك.

ومن استنجد بالرسول المجتبى عليه صلوات ا وسلامه بقوله: (يا رسول ا) عد مشركاً.

---

(١) أي: القنصل العام.

ومن أقسم بالنبي أو بآله، عد خارجاً عن سياج الملّة.

وما حادثة السيد أحمد الشريف السنوسي(١) ـ وهو علم من أعلام المسلمين المجاهدين ـ ببعيدة، إذ كان وقوفه وقراءته الفاتحة على ضريح السيدة خديجة رضوان ا عليها، سبباً كافياً في نظر الوهابيين لأخراجه من الحجاز.

كل هذا حاصلٌ في الحجاز لا ينكره أحد، ولا يستطيع الوهابي ولا دعاته ولا جنوده أن يكذّبوه».

انتهى ما أردنا نقله من تلك الجريدة.

فرأيت أن أتكلّم معهم بكلمات وجيزة، جارية في نهج الإنصاف، خالية عن الجور والتعصب والاعتساف، سالكاً سبيل الرفق والاعتدال، ناكباً عن طريق الخرق والجدال، فما المقصود إلاّ هداية العباد، وا ولي الرشاد.

ثم إنا نتكلّم فما طعن به الوهابيون على سائر المسلمين في

---

(١) هو السيد أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي (١٢٨٤ ـ ١٣٥١ هـ) ولد وتفقّه في «الجغبوب» من أعمال ليبيا، قاتل الإيطاليين في حربهم مع الدولة العثمانية سنة ١٣٣٩ هـ، دعي إلى إسلامبول بعد عقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين ثم رحل منها إلى الحجاز، كان من أنبل الناس جلالة قدر وسراوة حال ورجاحه عقل، وكان على علم غزير، وقد صنّف في أوقات فراغه كتباً عديدة.

انظر: الأعلام ١/ ١٣٥.

ضمن فصول، وا   المستعان.

واجتنبت فيه عن الفحش في المقال، والطعن والوقعية والجدال.

هذا، والجرح لما يندمل، وإن القلوب لحرى، والعيون لعبرى، على الرزية التي عمت الإسلام والمسلمين، فإنّا   وإنّا إليه راجعون.

ويا لها من رزية جليلة! ومصيبة فاظعة(١) فادحة! وثلمة عظيمة في الإسلام أليمة فجيعة!

كحلت بمقطرك العين عمايةً   وأجلّ وقعك كلّ أذنٍ تسمع(٢)

وعلى الجملة:

فقد هدموا شعائر الدين، وجرحوا قلوب المسلمين، بفتوى

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّها: «قاطعة»، والأصوب لغةً أن تكون: «فظيعة».

(٢) من قصيدة لدعبل الخزاعي، يرثي بها سيد الشهداء الإمام أبي عبدا   الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقد ورد البيت باختلاف في بعض ألفاظه في الديوان المطبوع ومصادر أُخرى هكذا:

كحلت بمنظرك العيون عمايةً   وأصم نعيك كلّ أذن تسمع

انظر: ديوان دعبل: ٢٢٦، معجم الأدباء ١١/ ١١٠ و ٣/ ١٢٩ وفيه: «رزؤك» بدل «نعيك» ولم يسم قائله هنا، الحماسة البصرية ١/ ٢٠١.

خمسة عشر، تشهد القرائن بأنّهم مجبورون مضطّرون على هاتيك الفتيا!

ويشهد نفس السؤال ـ أيضاً ـ بذلك، حيث إن السائل يعلّمهم الجواب في ضمن السؤال بقول: «وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً»!

ويومئ إليه ـ أيضاً ـ ما في الجريدة، أنّه اجتمع إليهم أولاً، وباحثهم ثانياً، ومن بعد ذلك وجه إليهم السؤال المزبور!

ولقد حدثني بعض الثقات من أهل العلم ـ بعد رجوعه من المدينة ـ عن بعض علمائها، أنّه قال: إن الوهابية أوعدوني وعالمين غيري بالقتل والنهب والنفي (على مساعدتهم)(١) في الجواب، فلم نفعل.

هذي المنازل بالغميم فنادها   واسكب سخي العين بعد جمادها(٢)

---

(١) كان في الأصل: (على مساعدتهم) وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) مطلع قصيدة للشريف الرضي، يرثي بها سيد الشهداء الإمام أبي عبدا الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ هـ.

انظر: ديوان الشريف الرضي ١/ ٣٦٠.

الفصل الأول

في توحيد ا في العبادة

إعلم أن من ضروريات الدين، والمتّفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين: اختصاص العبادة با رب العالمين.

فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافر مشرك، سواء عبد الأصنام، أو عبد أشرف الملائكة، أو أفضل الأنام.

وهذا لا يرتاب فيه أحد ممن عرف دين الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كل يوم عشر مرات: (إياك نعبد

وإياك نستعين)(١).

ويقرأ: (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين)(٢).

ويقرأ في سورة يوسف: (إن الحكم إلاّ أمر ألا تعبدوا إلا إياة)(٣).

ويقرأ في سورة النحل:(وقال الذين أشركوا لو شاء ا ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين)(٤).

ويقرأ في سورة التوبة: (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)(٥).

ويقرأ في سورة البقرة:(أم كنتم شهداء إذْ حضر يعقوب الموتُ إذْ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)(٦).

---

(١) سورة الفاتحة ١: ٥.

(٢) سورة الكافرون ١٠٩: ١ ـ ٦.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٤٠.

(٤) سورة النحل ١٦: ٣٥.

(٥) سورة التوبة ٩: ٣١.

(٦) سورة البقرة ٢: ١٣٣.

ويقرأ في سورة الأعراف: (وإلى عاد أخاهم هوداً ـ إلى قوله عز من قائل: ـ قالوا أجئتنا لنعبد ا وحده)(١).

ويقرأ في [سورة] الزمر:(والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى ا زلفى إن ا يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون إن ا لا يهدي من هو كاذب كفار)(٢).

ويقرأ فيها:(ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركتَ ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين* بل ا فاعبد وكن من الشاكرين)(٣).

ويقرأ فيها:(قل ا أعبد مخْلصاً له ديني)(٤).

ويقرأ في سورة النساء:(واعبدوا ا وال تشركوا به شيئاً)(٥).

ويقرأ في سورة هود:(ألاّ تعبدوا إلاّ ا إنني لكم منه نذير وبشير)(٦).

ويقرأ في سورة العنكبوت:(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي

---

(١) سورة ا لأعراف ٧: ٦٥ ـ ٧٠.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٣.

(٣) سورة الزمر ٣٩: ٦٥ و ٦٦.

(٤) سورة الزمر ٣٩: ١٤.

(٥) سورة السناء ٤: ٣٦.

(٦) سوره هود ١١: ٢.

واسعة فإياي فاعبدون)(١).

إلى غير ذلك من الآيات الفرقانية، والأحاديث المتواترة(٢).

لكن العبادة ـ كما هو المفسر في لسان المفسرين، وأهل العربية، وعلما الإسلام ـ: غاية الخضوع؛ كالسجود، والركوع، ووضع الخد على التراب والرماد تواضعاً، وأشباه ذلك، كما يفعله عباد الأصنام لأصنامهم(٣).

وأما زيارة القبور والتمسح بها وتقبيلها والتبرك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضح، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أن مطلق الخضوع ـ كما عرفت ـ ليس بعبادة، وإلاّ لكان جميع الناس مشركين حتّى الوهابيين! فإنّهم يخضعون للرؤساء

---

(١) سورة العنكبوت ٢٩: ٥٦.

(٢) انظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدمة ـ على سبيل المثال ـ وغيرها في مختلف التفاسير، ولاحظ كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق، والكافي ١/ ٥٧ ـ ١٢٧ كتاب التوحيد.

(٣) انظر ذلك ـ على سبيل المثال ـ في تفسير آية(إياك نعبد وأياك نستعين) في: التبيان ١/ ٣٧ ـ ٣٩، مجمع البيان ١/ ٢٥ ـ ٢٦، الصافي ١/ ٧١ ـ ٧٢، كنز الدقائق ١/ ٥٤ ـ ٥٦، نور الثقلين ١/ ١٩ ـ ٢٠، آلاء الرحمن ١/ ٥٦ ـ ٥٩، البيان: ٤٥٦ ـ ٤٨٣، الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٥، جامع البيان ١/ ١٦٠، الدر المنثور ١/ ٣٧، التفسير الكبير ١/ ٢٤٢، ومادة (عبد) في: لسان العرب ٣/ ٢٧٣.

والأمراء والكبراء بعض الخضوع، ويخضع الأبناء للآباء، والخدم للمخدومين، والعبيد للموالي، وكلّ طبقة من طبقات الناس للّتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخضوع، ويتواضعون لهم بعض التواضع.

هذا، وقد قال ا عز من قائل في تعليم الحكمة:(واخفض لهما جناح الذّلّ من الرحمة)(١).

أترى ا حين أمر بالخضوع للوالدين أمر بعبادتمها؟!

ويقول سبحانه:(لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول...) إلى آخرها(٢).

أليس هذا خصوعاً وتواضعاً؟!

أترى ا سبحانه أمر بعبادة نبية؟!

أوليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكية، وهو متضمن لشيء من الخضوع لا محالة؟!

أوترى ا نهى يصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع؟!

وقد كان الصحابة يتواضعون للنبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، ويخضعون له، وذلك

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ٢٤.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ٢.

من المسلّمات بين أهل السير والأخبار.

بل روى البخاري في صحيحه:

• «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ، ثم صلّى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وبين يديه عنزة.

قال شعبة: وزاد فيه عون: عن أبيه، عن أبي جحيفة، قال: كان تمر(١) من ورائها المرأة.

وقام الناس فجعلوا يأخذون يده(٢) فيمسحون بها وجوههم.

قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك»(٣).

زيارة القبور:

وأما الأخبار الدالّة على زيارة القبور فنذكر عدة منها، وإن كان لا حاجة إلى ذكرها لوضوح المسألة، حتّى أن الوهابيين ـ أيضاً ـ غير مانعين عن أصل الزيارة.

---

(١) في المصدر: يمر.

(٢) في المصدر: يديه.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٢٩، والعنزة ـ بالتحريك ـ: هي أطول من العصا وأقصر من الرمح، فيها سنان كسنان الرمح، وربما في أسفلها زج كزج الرمح. انظر: القاموس المحيط ٢/ ١٨٤، لسان العرب ٥/ ٣٨٤.

●فروى البخاري عنه صلّى ا عليه وآله وسلّم، أنّه «خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر...» إلى آخره(١).

●وروى فيه عن أنس، قال: «مر النبي صلّى ا عليه وسلّم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتّقي ا واصبري...» إلى آخره(٢) ولم ينهها عن زيارة القبر.

●وروى الدارقطني في السنن وغيرها، والبيهقي، وغيرهما، من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبدا العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «قال رسول ا صلّى ا عليه وسلّم»: من زار قبري وجبت له شفاعتي»(٣).

●وعن نافع، عن سالم، عن ابن عمر، مرفوعاً، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم، أنّه قال: «من جاءني زائراً ليس له حاجة إلاّ زيارتي، كان حقّاً علي أن

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ١١٤، سنن أبي داود ٣/ ٢١٦ ح ٣٢٢٣ إلى كلمة «انصرف».

(٢) صحيح البخاري ٩/ ٨١ باختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي ٢/ ٩٣ إلى كلمة «واصبري» باختلاف يسير في بعض الألفاظ أيضاً، وانظر: الأنوار في شمائل النبي المختار ١/ ٢٠٠ ح ٢٣٩ والمصادر الأخرى التي في هامشه.

(٣) سنن الدار قطني ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٤، شعب الإيمان ٣/ ٤٩٠ ح ٤١٥٩، مجمع الزوائد ٤/ ٢، الصلات والبشر: ١٤٢، الدر المنشور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ١٥/ ٦٥١ ح ٤٢٥٨٣، الكنى والأسماء ٢/ ٦٤، الكامل ٦/ ٢٣٥٠، والنظر: الغدير ٥/ ٩٣ ـ ٩٦ ح ١ ومصادره.

•أكون له شفيعاً يوم القيامة»(١).

•وعن ليث ومجاهد، عن [ابن] عمر، مرفوعاً، قال صلّى ا عليه وسلّم: «من حج وزار قبري بعد وفاتي، كان كمن زارني في حياتي»(٢).

•وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم، قال: «من زارني كنت له شهيداً أو شفيعاً»(٣).

•وعن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم، قال: «من حج [البيت] ولم يزرني فقد جفاني»(٤).

•وعن أبي هريرة، مرفوعاً، عن النبي صلى ا عليه وسلّم، قال: «من زارني بعد

---

(١) ورد الحديث باختلاف يسير في: المعجم. الكبير ١٢/ ٢٩١ ح ١٣١٤٩، مجمع الزوائد ٤/ ٢، الصلات والبشر: ١٤٢، الدر المنصور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ١٥/ ٢٥٦ ح ٣٤٩٢٨، وانظر: الغدير ٥/ ٩٧ ـ ٩٨ ح ٢ ومصادره.

(٢) سنن الدار قطني ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٢، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ح ٤١٥٤، السنن الكبرى ٥/ ٢٤٦، المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٦ ح ١٣٤٩٧، الصلات والبشر: ١٤٣، الدر المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٦٨ و ١٥/ ٦٥١ ح ٤٢٥٨٢، وفيها: «فزار» بدل «وزار»، وانظر: الغدير ٥/ ٩٨ ـ ١٠٠ ح ٣ ومصادره.

(٣) ورد الحديث باختلاف يسير في: شعب الإيمان ٣/ ٤٨٩ ذح ٤١٥٣، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٧١، كما ورد مضمونه في: السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥، شعب الإيمان ٣/ ٤٨٨ ح ٤١٥٢ و ٤٨٩ ح ٤١٥٧، الصلات والبشر: ١٤٣، الدر المنثور ١/ ٥٦٩، وانظر: الغدير ٥/ ١٠٠ ـ ١٠١ ح 5 ومصادره.

(٤) الدر المنثور ١/ ٥٦٩، الصلات والبشر: ١٤٣، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٩٦، الكامل ٧/ ٢٤٨٠، والنظر: الغدير ٥/ ١٠٠ ح ٤ ومصادره.

موتي فكأنّما زارني حياً»(١).

•وعن أنس، مرفوعاً، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم، [قال]: «من زارني ميتاً كمن زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة»(٢).

•وعن ابن عباس، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم، قال: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن لم يزرني فقد جفاني»(٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث التي يجوز مجموعها حد المتواتر.

•وفي «الموطّأ» أن ابن عمر كان يقف عند قبر النبي صلّى ا عليه وسلّم، فيسلّم عليه وعند أبي بكر وعمر(٤).

•وسئل نافع: هل كان [ابن] عمر يسلم على قبر النبي صلّى ا عليه وسلّم؟

---

(١) ورد الحديث باختلاف في سنده وبعض الفاظه في: مجمع الزوائد ٤/ ٢، الصلات والبشر: ١٤٢ و ١٤٣، الدر المنثور ١/ ٥٦٩، كنز العمال ٥/ ١٣٥ ح ١٢٣٧٢، المواهب اللدنّية ٨/ ٢٩٨و ٢٩٩، وانظر: الغدير ٥/ ١٠١ ـ ١٠٢ ح ٦ ومصادره، وقد روي فيها عن حاطب بن أبي بلتعة مرفوعاً، وص ١٠٥ ـ ١٠٦ ح ١٤ وفيه: عن ابن عمر مرفوعاً.

(٢) الصلات والبشر: ١٤٣، كشف الخفاء ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ح ٢٤٨٩، وانظر: الغدير ٥/ ١٠٤ ح ١٠ ومصادره.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٤٠٧، وفاء الوفا ٤/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧ ح ١٤ و ١٦، وانظر: الغدير ٥/ ١٠٤ ـ ١٠٥ ح ١٢ ومصادره، وقد روي فيها عن أميرالمؤمنين الإمام علي عليه السلام مرفوعاً بدلاً من ابن عباس.

(٤) المؤطّأ ١/ ١٦٦ح ٦٨، شعب الإيمان ٣/ ٤٩٠ ح ٤١٦١، الدر المنثور ١/ ٥٧٠، وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٨.

•فقال: رأيته مائة مرة أو أكثر يسلّم على النبي وعلى أبي بكر(١).

قال عياض: زيارة قبر رسول ا صلّى ا عليه وسلّم سنّة أجمع عليها المسلمون(٢).

•وروى بريدة، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم: «إنّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(٣).

•وعن بريدة، أن النبي صلّى ا عليه وسلّم إذا خرج إلى المقابر قال: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والسلمين».

رواه مسلم(٤).

•وعن ابن عباس، أن النبي [كان] يخرج إلى البقيع آخر الليل فيقول: «السلام عليكم...» الخبر.

رواه مسلم(٥).

---

(١) حقيقة التوسل والوسيلة: ١١١، وقال في الهامش: أخرجه الإمام عبدا بن دينار عن ابن عمر.

(٢) شرح الشفا ٣/ ٥١١، وفاء الوفا ٤/ ١٣٦٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٦٧٢ ح ٩٧٧، سنن النسائي ٨/ ٣١٠ ـ ٣١١ و ج ٤/ ٨٩، سنن الترمذي ٣/ ٣٧٠ ح ١٠٥٤، سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ح ٣٢٣٥، السنن الكبرى ٤/ ٧٧، المعجم الكبير ٢/ ١٩ ح ١١٥٢ و ٩٤ ح ١٤١٩، المصنّف ٣/ ٣٤٢.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٦٧١ ح ٩٧٥، وسنن النسائي ٤/ ٩٤.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٦٦٩ ح ٩٧٤ عن عائشة، وسنن الترمذي ٣/ ٣٦٩ ح ١٠٥٣ عن ابن عباس.

التبرك بالقبور:

وأما التبرك بالقبور وتقبيلها والتمسح بها:

فقد نقل عبدا بن أحمد بن حنبل في كتاب «العلل والسؤالات» قال: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول ا يتبرك بمسه وتقبيله، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثوابِ ا ، فقال: لا بأس به(١).

ونقل عن مالك التبرك بالقبر(٢).

وروي عن يحيى بن سعيد ـ شيخ مالك ـ أنّه حينما أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر وتمسح به(٣).

ونقل السبكي روايةً ليحيى بن الحسن، عن عمر بن خالد، عن أبي نباتة، عن كثير بن يزيد، عن المطّلب بن عبدا ، قال: أقبل مروان بن الحكم وإذا رجلٌ ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته وقال: ما تصنع؟!

فقال: إنّي لم آت الحجر ولا اللبن، إنّما جئت رسول ا صلّى ا عليه وسلّم(٤).

---

(١) العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٤٩٢ ح ٣٢٤٣، وعنه في وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٤، وانظر مؤداه أيضاً في ص ١٤٠٣.

(٢) انظر مؤداه في وفاه الوفا ٤/ ١٤٠٧.

(٣) وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٣.

(٤) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢.

•وذكر رواية أحمد، قال: وكان الرجل أبا أيوب الأنصاري(١).

•ونقل هذه الرواية أحمد، وزاد فيها أنّه قال: سمعت رسول ا صلّى ا عليه وسلّم يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، وابكوا عليه إذا وليه غير أهله(٢).

وذكر ابن حماد أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبره(٣).

ولو رمنا ذكر جميع الأحاديث لخرجنا من حد الاختصار، وفيما ذكر كفاية، فضلاً عن سيرة المسلمين.

وما عرفت من أن تلك الأمور خارجة عن حقيقة العبادة، فإذاً لا وجه للمنع عنها وإن لم يكن دليل عليها.

هذا، وقد قال ا عز وجل: (ومن يعظم شَعائِر ا ـ فَإِنّها من تَقْوى القُلُوب)(٤).

---

(١) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢.

(٢) شفاء السقام عن مسند أحمد ٥/ ٤٢٢، وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩.

(٣) وفاء الوفا ٤/ ١٤٠٥.

(٤) سورة الحج ٢٢: ٣٢.

الفصل الثاني

في توحيد ا سبحانه في الأفعال

إعلم أن من ضروريات دين الإسلام، والمجمع عليه بين جميع الفرق المنتحلة لدين سيد الأنام، بل ومن أعظم أركان التوحيد: توحيد ا عز وجلّ في تدبير العالم، كالخلق والرزق والإماتة والإحياء، إلى غير ذلك مما يرجع إلى تدبير العالم، كتسخير الكواكب، وجعل الليل والنهار، والظلم والأنوار، وإجراء البحار، وإنزال الأمطار، وغير ذلك مما لا نحصيه ولا نحيط به.

وبالجملة:

لا كلام بين طوائف أهل الإسلام، أن المدبر لهذا النظام، هو ا

الملك العلاّم، وحده وحده.

وكيف يرتاب مسلم في ذلك؟! وهو يقرأ في كلّ يوم مراراً من الفرقان العظيم: (ا ُ الصمد)(١).

ويقرأ قوله عز من قائل: (وخلق كل شَيء وهو بِكل شَيء عليم)(٢).

وقوله سبحانه: (ألا لَه الخَلْقُ والأمر)(٣).

وقوله تعالى: (قُلْ من يرزقُكُم من السماء والأرضِ أَمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخْرِج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فَسيقُولُون ا ُ فقُلْ أفلا تَتقُون)(٤).

وقوله عز اسمه: (إن ا لَه ملْك السموات والأرضِ يحيي ويميتُ وما لَكُم من دونِ ا ِ من ولي ولا نَصيرٍ)(٥).

وقوله عظم سلطانه: (قالوا يا نوح قَد جادلْتنا فَأَكْثَرتَ جِدالَنا فَأْتنا بِما تَعدنا إن كُنتَ من الصادقين * قالَ إنّما يأتيكُم بِه ا ُ إن شاء)(٦).

---

(١) سورة الإخلاص ١١٢: ٢.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٠١.

(٣) سورة الأعراف ٧: ٥٤.

(٤) سورة يونس ١٠: ٣١.

(٥) سورة التوبة ٧: ١١٦.

(٦) سورة هود ١١: ٣٢ و ٣٣.

وقوله جلّ شأنه: (أم جعلُوا ِ شُركاء خَلَقُوا كَخَلْقه فَتَشابه الخَلْقُ علَيهم قُل ا ُ خالِقُ كُل شيء)(١).

وقوله عز جبروته: (الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين)(٢).

وقوله جلّ وعز: (ولِئن سألْتَهم من خَلَقَ السموات والأرض وسخّر الشّمس والقمر ليقولن ا)(٣).

وقوله عم إحسانه: (ولئن سألتهم من نّزل من السماء مآء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن ا)(٤).

وقوله جلّت قدرته: (ا الّذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم)(٥).

وقوله تعالى شأنه: (خلقَ السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كلّ دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كلّ زوجٍ كريمٍ * هذا خلق ا فأروني ماذا خلق الّذين من

---

(١) سورة الرعد ١٣: ١٦.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٧٨ ـ ٨١.

(٣) سورة العنكبوت ٢٩: ٦١.

(٤) سورة العنكبوت ٢٩: ٦٣.

(٥) سورة الروم ٣٠: ٤٠.

دونه بل الظّالمون في ضلالٍ مبين)(١).

وقوله تعالى: (ا خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيلٌ * له مقاليد السموات والأرض)(٢).

وقوله تعالى من قائل: (وأن إلى ربك المنتهى * وأنّه هو أضحك وأبكى * وأنّه هو أمات وأحيا * وأنّه خلق الزوجين الذّكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النّشأةَ الأخرى * وأنّه هو أغنى وأقنى)(٣).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

التوسل والاستغاثة والاستشفاع:

لكن التوسل بغير ا سبحانه، والاستغاثة، والاستشفاع ـ المعمولة عند المسلمين، في جميع الأزمان، بالنسبة إلى الأنبياء والأولياء ـ ليس بمعنى التشريك في أفعال ا تعالى.

بل الغرض أن يفعل ا فعله ويقضي الحاجة ببركتهم وشفاعتهم، حيث إنّهم مقربون لديه، مكرمون عنده، ولا مانع من أن يكونوا سبباً ووسيلة لجريان فيضه.

---

(١) سورة لقمان ٣١: ١٠ و ١١.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٦٢ و ٦٣.

(٣) سورة النجم ٥٣: ٤٢ ـ ٤٨.

هذا، ومن المركوز في طباع البشر توسلهم في حوائجهم التي يطلبونها من العظماء والملوك والأمراء إلى المخصوصين بحضرتهم، ويرون هذا وسيلة لنجح حاجتهم، وليس ذاك تشريكاً لذاك المخصوص مع ذاك الأمير أصلاً.

فلماذا يعزل أنبياء ا والأولياء من مثل ما يصنع بمخصوصي العظماء؟! إن هذا إلاّ اختلاق، وقد قال ا عز وجلّ: (من ذا الّذي يشفع عنده إلاّ بإذنه)(١) فاستثنى، وقال سبحانه: (لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى)(٢).

ومما ذكر ظهر أن قول القاضي: «ودعائها مع ا » يعني الضرائح، افتراء على المسلمين من جهتين:

الأولى: دعوى تشريك غير ا معه في الدعاء:

مع أنّهم لا يدعون إلاّ ا الواحد القّهار، ويتوسلون بأوليائه إليه.

وإن كان المراد أنّهم يدعون ا عزوجلّ لقضاء الحاجات، ويدعون أولياءه ليكونوا شفعاء لديه سبحانه، فاختلفت جهتا

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٢٨.

الدعوة، فهذا حقّ وصدق، ولا مانع منع أصلاً.

بل الوهابية ما قدروا ا   حقّ قدره إذ قالوا: لا ضرورة في استنجاح الحاجة عنده إلى شفيع! ولا حسن في ذلك، ويرون ذلك أمراً مرغوباً مطلوباً بالنسبة إلى غيره سبحانه!

فإذا كان لهم حاجة إلى الناس، يتوسلون في نجاحها إلى المقربين لديهم، ولا يرون في ذلك بأساً!

فما بال ا   عز وجلّ يقصر به عما يصنع بعباده؟!

الجهة الثانية: إضافة الدعوة إلى الضرائح:

والحال أنّهم لا يدعون الضريح للشفاعة، بل يدعون صاحب الضريح؛ لأنّه ذو مكان مكين عند ا   وإن كان متوفّى (ولا تحسبن الّذين قتلوا في سبيل ا   امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتيهم ا   ....)(١).

وبالجملة:

فالتوسل وطلب الشفاعة من أولياء ا   أمر مرغوب فيه عقلاً وشرعاً، وقد جرت سيرة المسلمين عليه قديماً وحديثاً.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٦٩ و ١٧٠.

•فعن أنس بن مالك، أنّه قال: «جاء رجل إلى رسول ا صلّى ا عليه وسلّم فقال: يا رسول ا ، هلكت المواشي وتقطّعت السبل، فادع ا .

فدعا ا ، فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة.

فجاء رجل إلى النبي صلّى ا عليه وسلّم فقال: يا رسول ا ، تهدمت البيوت وتقطّعت السبل وهلكت المواشي.

فقال رسول ا صلّى ا عليه وسلّم: اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر.

فانجابت عن المدينة انجياب الثوب».

رواه البخاري في الصحيح،(١)، وروى عدة أحاديث في هذا المعنى يشبه بعضها بعضاً.(٢).

•وفيه أيضاً: حدثنا عبدا بن أبي الأسود، [حدثنا حرمي،] حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ـ رضي ا عنه ـ قال:

«قالت أمي: يا رسول ا ، خادمك [أنس]، ادع ا له.

قال: اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»(٣).

•وقال البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم، عن

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٣٧.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٤ ـ ٣٨.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ٩٣.

•الجعد بن عبدالرحمن، قال: سمعت السائب بن يزيد يقول:

«ذهبت بي خالتي إلى رسول ا صلّى ا عليه وسلّم فقالت:

يارسول ا ، إن ابن أختي وجع.

فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خاف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة»(١).

•وروى البيهقي، أنّه جاء رجل إلى قبر النبي صلّى ا عليه وسلّم فقال: يا محمد، استق لأمتك؛ فسقوا(٢).

•وروى الطبراني وابن المقرئ وأبو الشيخ، أنّهم كانوا جياعاً، فجاؤاإلى قبر النبي صلّى ا عليه وسلّم فقالوا: يا رسول ا ، الجوع الجوع؛ فأشبعوا(٣).

•ونقل أن آدم لما اقترف الخطيئة قال: يا ربي أسألك بحقّ محمد لما غفرت لي.

فقال: يا آدم، كيف عرفته؟

قال: لأنّك لما خلقتني نظرت إلى العرش فوجدت مكتوباً فيه:

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٩٤، والحجلة: بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار.

انظر: لسان العرب ١١/ ١٤٤ ـ حجل.

(٢) انظر قريباً منه في الوفا ٤/ ١٣٧٤.

(٣) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٨٠.

•«لا إله إلاّ ا ، محمد رسول ا » فرأيت اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفته أحب الخلق إليك.

صححه الحاكم(١).

•وعن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلّى ا عليه وسلّم فقال: ادع ا أن يعافيني.

فقال النبي صلّى ا عليه وسلّم: إن شئت صبرت فهو خير لك، وإن شئت دعوت.

قال: فادعه.

فأمره أن يتوضأ ويدعو بهذا الدعاء:

«اللّهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يا محمد، إنّني توجهت بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها لي؛ اللهم شفعه».

رواه الترمذي والنسائي(٢) ، وصححه البيهقي وزاد: فقام وأبصر(٣).

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦١٥ باختلاف يسير، وانظر: دلائل النبوة ـ للبيهقي ـ ٥/ ٤٨٩، ووفاء الوفا ٤/ ١٣٧١ ـ ١٣٧٢.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٦٩ تح ٣٥٧٨ باختلاف يسير، ورواه النسائي في كتاب «اليوم والليلة»، وفي سنن ابن ماجة ١/ ٤٤١ ح ١٣٨٥ باختلاف يسير أيضاً.

(٣) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٢.

•ونقل الطبراني، عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان في حاجة، فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لا بن حنيف، فقال له: اذهب وتوضأ وقل:... وذكر نحو ما ذكر الضرير.

قال: فصنع ذلك، فجاء البواب فأخذه وأدخله إلى عثمان، فأمسكه على الطنفسة وقضى حاجته(١).

•وفي رواية الحافظ، عن ابن عباس، أن عمر قال: اللّهم إنّا نستسقيك بعم نبينا، ونستشفع بشيبته؛ فسقوا(٢).

الشفاعة:

وأخبار الشفاعة متواترة:

•روى البخاري، عن النبي صلّى ا عليه وسلّم أنّه: من سمع الأذان ودعا بكذا حلّت له شفاعتي يوم القيامة(٣).

•وروى مسلم، عنه صلّى ا عليه وسلّم أنّه: ما من ميت يموت يصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة، كلّهم يشفعون له، إلاّ شفّعوا فيه(٤).

---

(١) المعجم الكبير ٩/ ٣٠ ـ ٣١ ح ٨٣١١ باختلاف يسير، وانظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٣.

(٢) دلائل النبوة ـ للأصبهاني ـ ٢/ ٧٢٥ ح ٥١١ باختلاف يسير.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٥٩ باختلاف يسير.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ٦٥٤ ح ٩٤٧، باختلاف يسير.

●وروى الترمذي والدارمي، عنه صلّى ا عليه وآله وسلّم أنّه: يدخل بشفاعتي رجال من أمتي أكثر من بني تميم(١).

●وروى الترمذي، عن أنس، أنّه قال: سألت النبي صلّى ا عليه وسلّم أن يشفع لي يوم القيامة.

فقال: أنا فاعل.

قلت: فأين أطلبك؟

قال: أولاً على الصراط.

قلت: فإن لم ألقك.

قال: عند الميزان.

قلت: فإن لم ألقك؟

قال: عند الحوض، فأنّي [لا] أُخطئ هذه المواضع(٢).

وقد نقل عن الصحابة، بطرق عديدة، أن الصحابة كانوا يلجأُون إلى قبر النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، ويندبونه في الاستسقاء ومواقع الشدائد وسائر الأمراض(٣).

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٦٢٦ ح ٢٤٣٨، وسنن الدارمي ٢/ ٣٢٨، باختلاف يسير فيهما.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ٦٢١ ـ ٦٢٢ ح ٢٤٣٣، الوفا بأحوال المصطفى ٢/ ٨٢٤ باختلاف يسير.

(٣) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٧٢ ـ ١٣٨٧.

●ولا يخفى أن وفاة المتوسل به لا تنافي التوسل أصلاً، فإن مكانه عند ا لا يزول بالموت، كما هو واضح.

هذا، مع أنّهم في الحقيقة أحياء كما ذكر ا عز وجلّ في حال الشهداء، فالشهداء إذا كانوا أحياء فالأنبياء والأولياء أحقّ بذلك.

هذا كلّه مع أن الأرواح لا تفنى بالموت، والعبرة بها لا بالأجساد، وإن كان أجساد الأنبياء لا تبلى كما نص عليه في الأخبار(١).

●وفي خبر النسائي وغيره، عن النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، قال: إن ملائكة سياحين في الأرض يبلّغونني من أُمتي السلام(٢).

والأخبار في هذا الباب كثيرة(٣).

●وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن سعيد بن المسيب، قال: لقد كنت في مسجد رسول ا فيما يأتي وقت صلاة إلاّ سمعت الأذان من القبر(٤).

●وأخرج سعد في «الطبقات» عن سعيد بن المسيب، أنّه كان

---

(١) سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٧، وانظر مؤداه في وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٠ ـ ١٣٥٦.

(٢) سنن النسائي ٣/ ٤٣، مسند أحمد ١/ ٤٤١، سنن الدارمي ٢/ ٣١٧.

(٣) انظر: وفا الوفا ٤/ ١٣٤٩ ـ ١٣٥٤.

(٤) دلائل النبوة ـ للأصبهاني ـ ٢/ ٧٢٤ ـ ٧٢٥ ح ٥١٠ باختلاف يسير.

●يلازم المسجد أيام الحرة، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف(١).

●وأخرج زبير بن بكّار في «أخبار المدينة» عن سعيد بن المسيب، قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة من قبر رسول ا صلّى ا عليه وسلّم أيام الحرة حتّى عاد الناس(٢).

●ونقل أبو عبدا البخاري، أن الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوه وردوا عليه السلام(٣).

●وروى الثعلبي في تفسيره، وابن المغازلي الشافعي الواسطي في «المناقب» أن النبي صلّى ا عليه وسلّم وأصحابه لما حملهم البساط وصلوا إلى موضع أهل الكهف، فقال: سلّموا عليهم، فسلّموا عليهم، فلم يردوا، فسلّم النبي صلّى ا عليه وسلّم عليهم، فقالوا:

وعليك السلام ورحمة ا وبركاته(٤).

●ونقل أبوبكر محمد بن عبدا الشافعي، أن عيسى عليه السلام لما دفن مريم عليها السلام قال: السلام عليك يا أماه؛ فأجابته من جوف القبر:

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/ ١٣٢.

(٢) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥٦.

(٣) انظر: وفاء الوفا ٤/ ١٣٥١.

(٤) مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ح ٢٨٠، وفيه: «علي عليه السلام» بدل «النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم».

•وعليك السلام حبيبي وقرة عيني... إلى آخره(١).

•وروى الحاكم، عن سالم بن أبي حفصة، قال: توفّي أخ لي فوضعته في القبر وسويت عليه التراب، ثم وضعت أذني على لحده فسمعت قائلاً يقول له: من ربك؟ فسمعت أخي يقول بصوت ضعيف: ربي ا ... إلى آخره(٢).

والأخبار التي يستدلّ بها على الدعوى أكثر من أن تحصى.

---

(١) لم أعثر على تخريج له في المصادر المتوفّرة ادي.

(٢) المتسدرك على الصحيحين، وروي قريب منه و بسند آخر وباختلاف يسير في كتاب من عاش بعد الموت: ٨٦ و ٨٧ ح ٤٢ و ٤٣.

الفصل الثالث
في البناء على القبور

إعلم أن البناء على قبور الإنبياء والعباد المصطفين تعظيم لشعائرا ، وهو من تقوى القلوب، ومن السنن الحسنة.

حيث إنّه احترام لصاحب القبر، وباعثٌ على زيارته، وعلى عبادة ا عز وجلّ ـ بالصلاة والقراءة والذكر وغيرها ـ عنده، وملجأٌ للزائرين والغرباء والمساكين والتالين والمصلين.

بل هو إعلاء لشأن الدين.

●وعن النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم: «من سن سنّة حسنة فله أجرها وأجر من

عمل بها»(١).

وقد بني على مراقد الأنبياء قبل ظهور الإسلام وبعده، فلم ينكره النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم، ولا أحد من الصحابة والخلفاء، كالقباب المبنية على قبر دانيال عليه السلام في شوشتر(٢)، وهود وصالح ويونس وذي الكفل عليهم السلام، والأنبياء في بيت المقدس وما يليها، كالجبل الذي دفن فيه موسى عليه السلام، وبلد الخليل مدفن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

بل الحجر المبني على قبر إسماعيل عليه السلام وأُمه رضي ا عنها.

بل أول من بنى حجرة قبر النبي صلّى ا عليه وآله وسلّم باللبن ـ بعد أن كانت مقومة بجريد النخل ـ عمر بن الخطّاب، على ما نص عليه السمهودي في كتاب «الوفا»(٣) ثم تناوب الخلفاء على تعميرها(٤).

•وروى البنّائي(٥) واعظ أهل الحجاز، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين، عن أبيه علي، أن رسول ا صلّى ا عليه وسلّم قال له:

---

(١) ورد الحديث باختلاف يسير في: مسند أحمد ٤/ ٣٦١، سنن ابن ماجة ١/ ٧٤ ـ ٧٥ ح ٢٠٣ ـ ٢٠٨ باب من سن سنّة حسنة أو سيئة، مشكل الآثار ١/ ٩٤ و ٩٦ و ٤٨١.

(٢) هي إحدى مدن مقاطعة خوزستان في إيران، ومعربها: تستر؛ انظر معجم البلدان ٢/ ٢٩ (تستر).

(٣) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١.

(٤) وفاء الوفا ٢/ ٤٨١ ـ ٦٤٧.

(٥) في المصدر: التباني.

«وا لتقتلن في أرض العراق وتدفن بها.

فقلت: يا رسول ا ، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال: يا أباالحسن، إن ا جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنّة [وعرصة من عرصاتها]، وإن ا جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحن إليكم [و تحتمل المذلّة والأذى]، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرباً [منهم] إلى ا تعالى، ومودة منهم لرسوله [أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنّة].

يا علي، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس...» إلى آخره(١).

ولا يخفى أن جعل معمر قبورهم كالمعين على بناء بيت المقدس، دالّ على أن تعظيم مراقدهم تعظيم لشعائر ا سبحانه.

ونقل نحو ذلك ـ أيضاً ـ في حديثين معتبرين، نقل أحدهما الوزير السعيد(٢) بسند، وثانيهما بسند آخر(٣).

والسيرة القطعية ـ من قاطبة المسلمين ـ المستمرة، والإجماع،

---

(١) فرحة الغري: ٧٧، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠/ ١٢٠ ح ٢٢.

(٢) هو نصير الدين الطوسي أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن (٥٩٧ ـ ٦٧٢ هـ) من كبار علماء الإمامية.

(٣) فرحة الغري: ٧٨، وعنه في بحار الأنوار ١٠٠/ ١٢١ ح ٢٣ و ٢٤.

يغنيان عن ذكر الأحاديث الدالّة على الجواز.

وما أعجب قول المفتين: «أما البناء على القبور فممنوع إجماعاً»!

فإن مذهب الوهابية ـ وهم فئة قليلة بالنسبة إلى سائر المسلمين ـ لم يظهر إلاّ قريباً من قرن واحد، ولا يتفوه أحد من المسلمين ـ سوى الوهابية ـ بحرمة البناء، فأين الإجماع المدعى؟!

ودعوى ورود الأحاديث الصحيحة على المنع ـ لو ثبت ـ غير مجد لإثبات الحرمة؛ لأن أخبار الاحاد لا تنهض لدفع السيرة والإجماع القطعي، مع أن أصل الدعوى ممنوع جداً.

فأن مثل رواية جابر: «نهى رسول ا أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ»(١) لا تدلّ على التحريم؛ لعدم حرمة الكتابة على القبور ووطئها، فذلك من أقوى القرائن على أن النهي في الرواية غير دال على الحرمة، ولا نمنع الكراهة في غير قبور مخصوصة.

مع أن الظاهر من قوله: «يبنى عليها» إحداث بناء كالجدار على نفس القبر، فأن بناء القبة وجدرانها بعيدة عن القبر، ليس بناء على القبر على الحقيقة، وإنّما هو نوع من المجاز، وحمل اللفظ على

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٨ ح ١٠٥٢.

●الحقيقة حيث لا صارف عنها معين، مع أن النهي عن الوطء يؤكّد هذا المعنى، لا الذي فهموه من الرواية.

وأما الاستدلال على وجوب هدم القباب بحديث أبي الهياج، فغير تام في نفسه ـ مع قطع النظر عن مخالفته للإجماع والسيرة ـ لوجوه:

●الأول: إن الحديث مضطرب المتن والسند.

فتارة يذكرعن أبي الهياج أنّه قال: «قال لي علي» كما في رواية أحمد عن عبدالرحمن(١).

وتارة يذكر عن أبي وائل، أن علياً قال لأبي الهياج(٢).

ورواه عبدا بن أحمد في «مسند علي» هكذا: «لأبعثنّك فيما بعثني فيه رسول ا صلّى ا عليه وسلّم، أن اُسوي كلّ قبر، وأن أطمس كلّ صنم»(٣).

فالاضطراب المزبور يسقطه عن الحجية والاعتبار.

●الثاني: إنّه من الواضح أن المأمور به في الرواية لم يكن هدم جميع قبور العالم، بل الحديث وارد في بعث خاص وواقعة

---

(١) مسند أحمد ١/ ٩٦.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٢٩.

(٣) مسند أحمد ١/ ٨٩ و ١١١.

•مخصوصة، فلعلّ البعث قد كان إلى قبور المشركين لطمس آثار الجاهلية ـ كما يؤيده ذكر الصنم ـ أو إلى غيرها مما لا نعرف وجه مصلحتها، فكيف يتمسك بمثل هذه الرواية لقبور الأنبياء والأولياء؟!

قال بعض علماء الشيعة من المعاصرين:

إن المقصود من تلك القبور، التي أمر علي عليه السلام بتسويتها، ليست هي إلاّ تلك القبور التي كانت تتّخذ قبلةً عند بعض أهل الملل الباطلة، وتقام عليها صور الموتى وتماثيلهم، فيعبدونها من دون ا .

إلى أن قال:

وليت شعري لو كان المقصود من القبور ـ التي أمر علي عليه السلام بتسويتها ـ هي عامة القبور على الإطلاق، فأين كان عليه السلام ـ وهو الحاكم المطلق يومئذ ـ عن قبور الأنبياء التي كانت مشيدة على عهده؟! ولا تزال مشيدة إلى اليوم في فلسطين وسورية والعراق وإيران، ولو شاء تسويتها لقضى عليها بأقصر وقت.

فهل ترى أن علياً عليه السلام يأمر أبا الهياج بالحقّ وهو يروغ عنه فلا يفعله؟!

انتهى ما أردنا نقله منه.

- الثالث: قال بعض المعاصرين من أهل العلم:

لا يخفى من اللغة والعرف أن تسوية الشيء من دون ذكر القرين المساوي معه، إنّما هو جعل الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر في الحديث معنى إلاّ جعله متساوياً في نفسه، وما ذلك إلاّ جعل سطحه متساوياً.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض، لكان الواجب في صحيح الكلام أن يقال: إلاّ سويته مع الأرض.

فإن التسوية بين الشيئين المتغايرين لا بد فيها من أن يذكر الشيئان اللذان تراد مساواتهما.

وهذا ظاهر لكلّ من يعطي الكلام حقّه من النظر، فلا دلالة في الحديث إلاّ على أحد أمرين:

أولهما: تسطيح القبور وجعلها متساوية برفع سنامها، ولا نظر في الحديث إلى علوها، ولا تشبث فيه بلفظ (المشرف) فإن الشرف إن ذكر أنّه بمعنى العلو، فقد ذكر أنّه من البعير سنامه، كما في القاموس وغيره،(١) فيكون معنى (المشرف) في الحديث هو: القبر ذو السنام، ومعنى تسويته: هدم سنامه.

---

(١) انظر مادة (شرف) في: القاموس المحيط ٣/ ١٥٧، تهذيب اللغة ١١/ ٣٤١، لسان العرب ٩/ ١٧١.

وثانيهما: أن يكون المراد: القبور التي يجعل لها شرف من جوانب سطحها، والمراد من تسويته أن تهدم شرفه ويجعل مسطّحاً أجم، كما في حديث ابن عباس: أمرنا أن نبني المدائن شرفاً والمساجد جماً(١).

وعلى كلّ حال، فلا يمكن في اللغة والاستعمال أن يراد من التسوية في الحديث أن يساوى القبر مع الأرض، بل لا بد أن يراد منه أحد المعنيين المذكورين.

وأيضاً: كيف يكون المراد مساواة القبر مع الأرض، مع أن سيرة المسلمين المتسلسلة على رفع القبور عن الأرض؟!

وفي آخر كتاب الجنائز من جامع البخاري، مسنداً عن سفيان التمار، أنَّه رأى قبر رسول ا صلّى ا عليه وسلّم مسنّماً(٢).

وأسند أبو داود في كتاب الجنائز عن القاسم، قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه، اكشفي لي عن قبر رسول ا صلّى ا عليه وسلّم وصاحبيه؛ فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة(٣).

---

(١) غريب الحديث ٤/ ٢٢٥، الفائق ١/ ٢٣٤، لسان العرب ٩/ ١٧١؛ والجم: هي التي لا شرف لها.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٢٨.

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٢١٥ ح ٣٢٢٠؛ ولاطئة: أي لازقة بالأرض. انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٤٧ ـ لطا.

•وأسند ابن جرير، عن الشعبي، أن كلّ قبور الشهداء مسنّمة.(١)

انتهى ما أردنا نقله منه.

وأقول بعد ذلك: لو كان قوله: «مشرفاً» بمعنى عالياً، فليس يعم كلّ قبر ارتفع عن الأرض ولو بمقدار قليل، فأنّه لا يصدق عليه القبر العالي، فإن العلو في كلّ قبر إنّما هو بالإضافة إلى سائر القبور، فلا يبعد أن يكون أمراً بتسوية القبور العالية فوق القدر المتعارف المعهود في ذلك الزمان إلى حد المتعارف، وقد أفتى جمع من العلماء بكراهة رفع القبر أزيد من أربع أصابع(٢).

ولتخصيص الكراهة ـ لو ثبت ـ بغير قبور الأنبياء والمصطفين من الأولياء وجه.

•الرابع: لو سلم أي دلالة في الرواية، فلا ربط لها ببناء السقوف والقباب ووجوب هدمها، كما هو واضح.

وأما قول السائل: «وإذا كان البناء في مسبلة ـ كالبقيع ـ وهو مانع... إلى آخره».

فقد أجاب بعض المعاصرين عنه بما حاصله:

---

(١) كنز العمال ١٥/ ٧٣٦ ح ٤٢٩٣٢.

(٢) منتهى المطلب ١/ ٤٦٢.

أن أرض البقيع ليست وقفاً، بل هي باقية على إباحتها الأصلية، ولو شككنا في وقفيتها يكفينا استصحاب إباحتها.

وأقول: بل وقفيتها غير مانع عن البناء؛ لأنّها موقفة مقبرةً على جميع الشؤون المرعية في المقابر، ومنها: البناء على قبور أشخاص مخصوصين كالأصفياء، فإن البناء على القبور ليس أمراً حديثاً، بل كان أمراً متعارفاً من قديم الأيام.

الفصل الرابع
في الصلاة عند القبور
وإيقاد السرج عليها

[الصلاة عند القبور:]

وقد جرت سيرة المسلمين ـ السيرة المستمرة ـ على جواز ذلك.

وأما حديث ابن عباس: «لعن رسول ا صلّى ا عليه وسلّم زائرات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج»(١) فالظاهر والمتبادر ـ من اتّخاذ المسجد على القبر ـ: السجود على نفس القبر، وهذا غير الصلاة عند القبر.

---

(١) سنن أبي داود ٣/ ٢١٨ ح ٣٢٣٦، سنن النسائي ٤/ ٩٥.

هذا لو حملنا المساجد على المعنى اللغوي.

ولو حملناه على المعنى الاصطلاحي، فالمذموم اتّخاذ المسجد عند القبور، لا مجرد إيقاع الصلاة، كما هو المتعارف بين المسلمين، فإنّهم لا يتّخذون المساجد على المراقد، فإن اتّخاذ المسجد ينافي الغرض في إعداد ما حول القبر إعانة للزوار على الجلوس لتلاوة القرآن وذكر ا والدعاء والاستغفار، بل يصلّون عندها، كما يأتون بسائر العبادات هنالك.

هذا، مع أن اللعن غير دال على الحرمة، بل يجامع الكراهة أيضاً.

[إيقاد السرج:]

وأما إيقاد السرج، فإن الرواية لا تدلّ إلاّ على ذم الإسراج لمجرد إضاءة القبر، وأما الإسراج لإعانة الزائرين على التلاوة والصلاة والزيارة وغيرها، فلا دلالة في الرواية على ذمه.

وإن شئت توضيح ذلك فارجع إلى هذا المثل:

إنّك لو أضعت شيئاً عند قبر، فأسرجت هناك لطلب ضالّتك، فهل في تلك الرواية دلالة على ذم هذا العمل؟!

فكذلك ما ذكرناه.

هذا، مع ما عرفت أن اللعن ـ حقيقة ـ هو البعد من الرحمة، ولا يستلزم الحرمة، فإن عمل المكروه ـ أيضاً ـ مبعد من ا ، كما أن فعل المستحب مقرب إليه عز وجلّ.

هذا، وذكر بعض العلماء في الجواب: أن المقصود من النهي عن اتّخاذ القبور مساجد، أن لا تتّخذ قبلةً يصلّى إليها باستقبال أي جهة منها، كما كان يفعله بعض أهل الملل الباطلة.

ومما يدلّ عليه ما رواه مسلم في «الصحيح»: عن رسول ا صلّى ا عليه وسلّم أنّه قال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عندا عز وجلّ يوم القيامة(١).

وقال صلّى ا عليه وسلّم: لعن الذين اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد(٢).

فإنّه من المعلوم لدى الخبراء بتقاليد أولئك المبطلين، أنّهم كانوا يتّخذون قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد على الوجه المذكور، وذلك بجعل ما برز من أثر القبر قبلةً: وما دار حوله من الأرض مصلّي، ولذلك قالت أم المؤمنين عائشة: ولولا ذاك لأبرز قبره، غير إنّه خشي أن يتّخذ مسجدا(٣).

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٧٦ ح ٥٢٨.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٢٨٥.

(٣) مسند أحمد ٦/ ٨٠، صحيح مسلم ١/ ٣٧٦ ح ٥٢٩.

فلو كان اتّخاذه مسجداً على معنى إيقاع الصلاة عنده ـ وإن كان التوجه بها إلى الكعبة ـ لما كان الإبراز سبباً لحصول الخشية، فإن الصلاة ـ كذلك ـ غير موقوفة على أن يكون للقبر أثر بارز، وإنّما الّذي يتوقّف على بروز الأثر هو: الصلاة إليه نفسه.

انتهى.

ثم استشهد بكلام النووي في شرح صحيح مسلم، قال:

«قال العلماء: إنّما نهى النبي صلّى ا عليه وسلّم عن اتّخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من الافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة ـ رضوان ا عليهم أجمعين ـ والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول ا صلّى ا عليه وسلّم حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة ـ رضي ا عنها ـ بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلاّ يظهر في المسجد فيصلّي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور.

ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتّى التقيا، حتّى لا يتمكّن أحد من استقبال القبر، ولهذا قال في الحديث: (ولولا ذلك لأبرز قبره، غير إنّه خشي أن يتّخذ مسجداً) وا العالم بالصواب»(١).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ١٣ ـ ١٤.

انتهى.

ثم استظهر العالم المومى إليه أن يكون الإسراج المنهي عنه:

أما الإسراج على قبور أولئك المبطلين الّذين كانوا يتّخذونها قبلة، كما ربما يشهد بذلك سياق الحديث المومى إليه.

أو الإسراج الذي يتّخذه بعض جهلة المسلمين على مقابر موتاهم في ليالٍ مخصوصة، لأجل إقامة المناجاة عليها والنوح على أهلها بالباطل.

الفصل الخامس

في الذبائح والنذور

إعلم أن من المسائل المسلّمة الواضحة الضرورية عند طوائف المسلمين: اختصاص الذبح والتقرب بالقربان به سبحانه، فلا يصح الذبح إلاّ .

وهكذا أمر النذر، فمن المؤكّد المتّفق عليه بين طوائف المسلمين أن النذر لا يصح إلاّ ، ولذا يذكر في صيغته: علي كذا.

أما الذبح عن الأموات، فلا بد أن يكون وحده وإن كان عن الميت، وكم بين الذبح عن الميت والذبح له، والممنوع هوالثاني لا الأول.

قال بعض العلماء ـ رحمه ا ـ في «المنهج»(١): وأما من ذبح عن الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، ليصل الثواب إليهم ـ كما نقرأ القرآن ونهدي إليهم، ونصلّي لهم، وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم ـ ففي ذلك أجر عظيم.

وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغير ا سوى ذلك.

أما العارفون منهم فلا كلام، وأما الجهال فهم على نحو عرفائهم.

وقد روي عن النبي صلّى ا عليه وسلّم أنّه ذبح بيده وقال:

اللّهم هذا عنّي وعن من لم يضح من أمتي.

رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٢)... إلى آخره.

وقال بعض المعاصرين:

أما التقرب إلى الضرائح بالنذور ودعاء أهلها مع ا ، فلا نعهد واحداً من أوباش المسلمين(٣) وغيرهم يفعل ذلك، وإنّما ينذرون بالنذر المشروع، فيجعلون المنذور في سبيل إعانة الزائرين على البر، أو للإنفاق على الفقراء والمحاويج، لإهداء ثوابه لصاحب

---

(١) ورد مضمونه في: منهج الرشاد: ١٦٠.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٣٥٦ و ٣٦٢، سنن أبي داود ٣/ ٩٩ ح ٢٨١٠ وليس فيه: «اللّهم»، ونحوه في سنن الترمذي ٤/ ٩١ ح ١٥٠٥.

(٣) أي بسطاؤهم وجهالهم.

القبر، لكونه من أهل الكرامة في الدين والقربى... إلى آخره.

***

وهذا أوان اختتام الرسالة، وأرجو أن ينفع ا بها، أنّه هو المتفضل المنّان.

وقد حصل الفراغ منه بيد مؤلّفه الفقير إلى ا : عبدا ، أحد طلبة
العراق، في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول،
سنة خمس وأربعين بعد ألف وثلاثمائة هجرية.
والحمد رب العالمين.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ آلاء الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمد جواد البلاغي، ط مكتبة الوجداني، قم.

٣ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي ط دار العلم للملايين، بيروت.

٤ ـ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي، ط دار التعارف للمطبوعات.

٥ ـ الأنوار في شمائل النبي المختار، للحسين بن مسعود البغوي، ط دار الضياء بيروت.



٦ ـ بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي، ط مؤسسة الوفاء، بيروت.

٧ ـ البلاغي: التجربة الرمز في التفسير ١)، لعلي الكعبي مقال منشور في مجلّة رسالة القرآن ـ قم، العدد ١٠.

٨ ـ البيان في تفسير القرآن، للسيد أبو القام الموسوي الخوئي، ط المطبعة العلمية.

٩ ـ التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٠ ـ التفسير الكبير، للفخر الرازي، الطبعة الثالثة.

١١ ـ تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الازهري، ط المؤسسة المصرية العامة القاهرة.

١٢ ـ التوحيد، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٣ ـ جامع البيان، لمحمد بن جرير الطبري، ط دار المعرفة، بيروت.

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، ط دار إحياء التراث العرابي، بيروت.

١٥ ـ حقيقة التوسل والوسيلة، لموسى محمد علي، ط عالم الكتب، بيروت.

١٦ ـ الحماسة البصرية، لصدر الدين علي بن الحسن البصري،

ط عالم الكتب، بيروت.

١٧ ـ الدر المثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط دار الفكر.

١٨ ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ط دار ابن كثير في بيروت ومكتبة التراث الإسلامي في حلب.

١٩ ـ دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين البيهقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠ ـ ديوان دعبل بن علي الخزاعي، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٢١ ـ ديوان السيد رضا الموسوي الهندي، ط دار الكتب الإسلامي، قم.

٢٢ ـ ديوان الشريف الرضي، ط مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران.

٢٣ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آقا بزرك الطهراني، ط دار الأضواء، بيروت.

٢٤ ـ ريحانة الأدب، لمحمد علي التبريزي المدرس، ط مطبعة شركت سهامي.

٢٥ ـ سنن ابن ماجة، لمحمد بن يزيد القزويني، ط دار الفكر.

٢٦ ـ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط دار الفكر.

٢٧ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لمحمد بن عيسى بن سورة، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨ ـ سنن الدار قطني، لعلي بن عمر الدار قطني، ط دار المعرفة، بيروت.

٢٩ ـ سنن الدارمي ،لعبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمي، ط دار الفكر، القاهرة.

٣٠ ـ السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، ط دار المعرفة، بيروت.

٣١ ـ سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، طبع في بيروت.

٣٢ ـ شرح الشفا (نسيم الرياض)، لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، ط دار الفكر.

٣٣ ـ شرح المواهب اللدنية، المواهب للقسطلاني والشرح للزرقاني المالكي، وبهامشه "زاد المعاد" لابن القيم، ط دار المعرفة.

٣٤ ـ شرح النووي على صحيح مسلم، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٥ ـ شُعب الإيمان، لأحمد بن الحسين البيهقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦ ـ شعراء الغري، لعلي الخاقاني، ط المكتبة العامة لآية اللّه المرعشي، قم.

٣٧ ـ الصافي (تفسير ...)، للشيخ محسن الفيض الكاشاني،

ط مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٨ ـ صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩ ـ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ط دار الفكر.

٤٠ ـ الصلات والبِشَر في الصلاة على خير البشَر، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط دار الكتب، بيروت.

٤١ ـ الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد، ط دار صادر، بيروت.

٤٢ ـ العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل، ط المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض.

٤٣ ـ علماء معاصرين، للملاّ علي الواعظ الخياباني التبريزي، طبعة حجرية، إيران.

٤٤ ـ الغدير، للشيخ عبد الحسين الأميني، ط مكتبة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام).

٤٥ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٦ ـ الفائق في غريب الحديث، لمحمود بن عمر الزمخشري، ط دار المعرفة، بيروت.

٤٧ ـ فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، للسيد عبد الكريم بن طاووس الحلّي، ط المطبعة الحيدرية، النجف

الأشرف.

٤٨ ـ القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط دار الفكر، بيروت.

٤٩ ـ الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ط المكتبة الإسلامية، طهران.

٥٠ ـ الكامل في الضعفاء، لعبد اللّه بن عدي الجرجاني، ط دار الكتب، بيروت.

٥١ ـ كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبدالوهاب، للسيد محسن الأمين العاملي، ط مكتبة اليمن الكبرى.

٥٢ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٣ ـ كنز الدقائق (تفسير)، للميرزا محمد بن محمد رضا المشهدي القمي، ط مؤسسة الإسلامي، قم.

٥٤ ـ كنز العمال، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٥ ـ الكنى والأسماء، لأحمد بن حماد الدولابي، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦ ـ الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي، ط مطبعة العرفان، صيدا.

٥٧ ـ لسان العرب، لابن منظور المصري، ط أدب الحوزة، قم.

٥٨ ـ ماضي النجف وحاضرها، للشيخ جعفر باقر آل محبوبة، ط دار الأضواء، بيروت.

٥٩ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، ط المكتبة العامة لآية اللّه المرعشي، قم.

٦٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

٦١ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لابن منظور محمد بن مكرم، ط دار الفكر، دمشق.

٦٢ ـ المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد اللّه الحاكم النيسابوري، ط دار الفكر، بيروت.

٦٣ ـ مسند أحمد بن حنبل، ط دار الفكر، بيروت.

٦٤ ـ مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، ط دار صادر، بيروت.

٦٥ ـ المصنّف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط المجلس العلمي، بيروت.

٦٦ ـ معارف الرجال، للشخ محمد حرز الدين، ط المكتبة العامة لآية اللّه المرعشي، قم.

٦٧ ـ معجم الأدباء لياقوت بن عبد اللّه الحموي، ط دار الفكر.

٦٨ ـ معجم البلدان، لياقوت بن عبد اللّه الحموي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٩ ـ المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد الطبراني، ط دار إحياء التراث العربي.

٧٠ ـ معجم ما ألّفه علماء الأمة الإسلامية للرد على خرافات الدعوة الوهابية، للسيد عبد اللّه محمد علي، مقال منشور في مجلة تراثنا ـ قم، العدد ١٧.

٧١ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إليان سركيس، ط المكتبة العامة لآية اللّه المرعشي، قم.

٧٢ ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط دار إحياء التراث العربي.

٧٣ ـ معجم المؤلفين العراقيين، لكوركيس عواد، ط مطبعة الإرشاد، بغداد.

٧٤ ـ مناقب الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، لابن المغازلي علي بن محمد الشافعي، ط دار الأضواء، بيروت.

٧٥ ـ منتهي المطلب في تحقيق المذهب، للعلاّمة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر، طبعة حجرية، ايران.

٧٦ ـ من عاش بعد الموت، لابن أبي الدنيا، ط عالم الكتب بيروت.

٧٧ ـ منهج الرشاد لمن أراد السداد، للشيخ جعفر بن خضر الجناجي النجفي، ط المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)، قم.

٧٨ ـ الموطّأ، لمالك بن أنس، ط دار إحياء التراث العربي،

بيروت.

٧٩ ـ نجوم أُمت: آية اللّه العظمى الشيخ محمد جواد البلاغي، للشيخ ناصر الدين الأنصاري القمي، مقال منشور في مجلة نور علم ـ قم، العدد ٤١.

٨٠ ـ نقباء البشر في القرن الرابع عشر (طبقات أعلام الشيعة) للشيخ آقا بزرك الطهراني، ط دار المرتضى، مشهد.

٨١ ـ نور الثقلين (تفسير ...) للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ط المطبعة العلمية، قم.

٨٢ ـ الهدى إلى دين المصطفى، للشيخ محمد جواد البلاغي، ط دار الكتب الإسلامية، قم.

٨٣ ـ الوفاء بأحوال المصطفى، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط دار المعرفة، بيروت.

٨٤ ـ وفاء الوفاء لعلي بن أحمد المصري السمهودي، ط دار إحياء التراث العرابي، بيروت.